جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: الأدب الإسلامي

– تناول بدراسة مقارنة لشاعرين قل تأثرهما بالإسلام.

أ– الحطيئة . ب– متمم بن نويرة .

ج/

أ– **الحطيئة:** يمكن تحديد الاتجاهات لدراسته من الجوانب: الفنية فهو امتداد لطبيعة الشعراء قبل الإسلام مثل زهير بن أبي سلمى وأوس بن حجر وميله للهجاء وتكسبه به وتنقله بين القبائل للمدح والهجاء .

لقد وصف الأصمعي الحطيئة فقال:(كان جشعاً سؤولاً ملحفاً دنيء النفس، كثير الشر قليل الخير، قبيح النظر، مغمور النسب، فاسد الدين، وقال عنه الأصفهاني: أنه من فحول الشعراء ومتقدميهم، وكان ذا شر وسفه، ولكن محقق الديوان دافع عنه. وفي الواقع كان يمدح ويهجوا فيتراجع من مواقفه فيتذبذب بين المدح والهجاء، ويعلل سبب ذلك الدكتور شوقي ضيف بسبب حادثه الزبرقان وخلاصتها أن الحطئية التقي بالزبرقان فاخبره الزبرقان بأنه إذا قبل جوراه كفاه الحاجة طول العمر، وأرسل معه كتاباً إلى زوجته أو إلى أمه لتكرمه، الأمر الذي أغاض بني أنف الناقة ؛ لأنهم حسدوا الزبرقان، فأفسدوا العلاقة بعد المشاغبات، وأراد بنو بغيض الوصول إلى غرضهم الرئيس في تحريض الحطيئة ليهجو البربرقان، ويرى الحطيئة أنه لا ذنب للزبرقان فيما جنته أمرأته ، إلا أن الزبرقان يرسل إلى رجل من بني النمر قاسطاً ليهجو بغيضاً وفي هجائه لهم يعرض بالحطيئة ويبدأ الحطيئة بعتاب الزبرقان وليس هجاء .

ألم أك نائياً فدعوتموني فجاء بي المواعد والدعاء

ألم أك جاركم فتركتموني لكلبي في دياركم عواء

وآنيت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأناء

ولما أن مدحت القوم قلتم هجوت ولا يحل لك الهجاء

فيصور الحطيئة حالة الانتظار، وكيف انه كان يؤخر العشاء، وهو مسلم ربطته مع آل الزبرقان رابطة الجوار، ولما كادت الحرب أن تقوم بين آل بغيض وآل الزبرقان ، فحسم الخليفة العادل عمر بن الخطاب (ﷺ) الأمر بإخراج الحطيئة ، ولعل في القصة مبالغات فجعل الحطئية عديم الوفاء ، ولأنه اعتذر للزبرقان.

سناماً ومحضاً أنبت اللحم فاكتست عظام أمرئ ما كان يشبع طائره

ألم أك مسكينا الى الله راغباً على رأسه أن يظلم الناس زاجره

وعلق الدكتور طه حسين على المبالغة في وصف النقاد لهجاء الحطئية، فإن هجاء الحطيئة قل فحشاً من الشعراء مثل أوس وزهير، أما هجاؤه لأمه وإخوانه ، فذلك لتقلبه وعدم استقراره وعدم وضوح نسبه ، فهو لا يعرف له أباً على وجه الحقيقة، وكثيراً ما تخلط عليه أمه الأمر فيقول:

تقول لي الضراء لست لواحد ولا اثنين فانظر كيف شر أولئكا

وأنت أمرؤ تبغي أبا قد ضللته هبلت ألماً تستفق من ضلالكا

وهكذا لم يكن الحطيئة صحيح النسب معروف القبيلة ، فالحطئية لم يكن أبناً لام برة عطوف فيهجوها :

جزاك الله خيراً من عجوز ولقاك العقوق من البنين

لسانك مبرد لم يبق شيئاً ودرك در جاذبة وهين

وزاد الطين بلة أن أمه تزوجت مره أخرى من رجل دعي مطعون في نسبه . ولكنه أيضاً هجا كل من أبيه وعمه وخاله فيقول:

لحاكَ اللّه ثُمَّ لَحاكَ حقًّا أباً ولحاك من عمٍّ وخالِ

جمعتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ رَبِّي و أبوابَ السَّفاهةِ والضَّلالِ

وهجا نفسه: أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وصور أبو عبيدة بقوله عن الحطيئة:(كان الحطيئة بذيئاً هجاء) عندما وصل به الأمر لهجائه لنفسه ومع ذلك لعل في الأمر مبالغة فالأصفهاني وصف أجاده الحطئية في كل فنون الشعر، ولعل الأمر يدل على روح السخرية ، فهو يهجو زوجته مع أنه على علاقة طيبة معها يقول :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

وللحطئية أشعار إنسانية الذي يصور فيه أبناءه الصغار ونقرهم وقصيدته المشهورة التي وجهها إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه).

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

غيبت كاسبهم في قصر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

كما وصفوه بالبخل ولعل ذلك أيضاً فيه مبالغة ولحقت به هذه الصفة لفاقته وسعيه الى المدح لطلب المال ، وقصيدة الحطيئة في وصف كرم إعرابي معدم تمحو عنه هذه الصفة ولو كان بخيلاً ما استطاع أن يصورها هذا التصوير الجميل، لذلك الإعرابي الذي يعيش فأبناءه لم يأكلوا البر ولا عرفوا طعماً للحم وفجأة ينزل عنده ضيف، وهنا يبادر ابنه يا أبني لا تعتذر عن عدم أكرام الضيف، فاذبحني:

ولا تعتذر بالعدم على الذي طرا يظن لنا مالاً فيوسعنا ذما

ويرع الحطيئة في تصوير الأمر بما ينسجم وروح الأبوة:

فقال : هيا رباه ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما

حتى يفرج الله الأمر بقطيع من الحمر الوحشية تريد الماء ....

نريد القول: أنه شاعر بدوي استمرت حياته بعد الإسلام على النمط نفسه الذي كانت عليه قبله يمثل امتداداً لمذهب شعري معروف هو مدرسة زهير التي عنيت بتجويد الشعر ورصانة اللفظ وجمال الأسلوب وهو لم يكن من شعره الدعوة أو الشعراء الذين هزتهم أحداث العصر فيما أشتهر بالصفة العامة (الهجاء).

ب- **متمم بن نويرة:** من بني يربوع بن مالك من تميم كان فارساً شجاعاً قبل الإسلام ولم تحدد سنة إسلامه إلا أنه أسلم وحسن إسلامه وشاع اسم متمم بسبب قصائده الرائعة التي رثى بها أخاه مالك حين قتل مع مرتدي قبيلته وأجاء في رثائه وفي طبقات ابن سلام في طبقة المراثي يقول: (والمقدم عندنا متمم بن نويره) ومن جيد قوله :

لعمري وما دهري ولا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
بتأبين هالك

وقد عد الأصمعي هذه القصيدة أم المراثي ، وامتدحها المبرد أيضاً وأعجب به ابن الأثير وعلّق عليه بيته المشهور من الرثاء في مالك :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك

بأنه أرثى بيت قالته العبر وأنه أبلغ ما قيل في تعظيم ميت، وكان الحطيئة الشاعر يعجب برثاء متمم فعندما قال الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) للحطيئة : هل رأيت أو سمعت بابكي من هذا ؟ قال والله ما بكى بكاءه عربي قط، ولا يبكيه. وهذا الإعجاب من النقاد برثاء متمم للعاطفة القوية التي تمس شغاف القلوب، وكان يحرك في نفس الخليفة الراشد عمر كوامن الحزن على أخيه زيد الذي قتل في حروب اليمامة، ويعلق عمر (ﷺ) على قول متمم: هذا والله التأبين: ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل

ما رثيت بها أخاك. فقال متمم: لو ان اخي نات على ما مات اخوك ما رثيته ، فقال عمر: ما عزاني عن اخي بمثل ما عزاني به متمم.

لقد سارت مراثي متمم سير الأمثال وأخذت الركبان أشعاره وحفظها العرب، وتمثلوا بها وذكرهما شعراء الرثاء في أشعارهما مثلا لطول التلازم وشدة الأسى وصدق المودة في الإخاء.

ونلاحظ اهتمام علماء اللغة في شعر متمم للشواهد اللغوية . كما لاحظ النقاد كثرة شعره على قافية العين. ووجود الإثراء في شعره فالقوافي مرة مرفوعة وأخرى مخفوظة أو منصوبة ، وهذه يمكن أن يعد من عيوب الشعر .

ونقف عند قصيدته العينية التي تمثل أشعار التي قالها بعد الإسلام وهي تعد امتداد لشعره الذي قاله قبل الإسلام وهي أنموذج للشعر العربي الذي عاش بعيداً عن الجو الإسلامي وإفكاره ولم يتأثر بإبعاد الدعوة الإسلامية :

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ ... ولا جَزَعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ المِنْهَالُ تحتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

ولا بَرَمًا تُهْدِي النِّساءُ لِعِرْسِهِ ... إذا القَشْعُ مِن برد الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا

لَبِيبٌ أَعَانَ اللُّبَ مِنهُ سَمَاحَةٌ ... خَصِيبٌ إذا ما رَاكِبُ الجَدْبِ أَوْضَعَا

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... إذا لم تَجِدْ عندَ امرئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وما كان وَقَّافًا إذا الخيلُ أَحْجَمَتْ ... ولا طَائِشًا عندَ اللِّقاءِ مُدَفَّعَا

فَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيانِ لِمَالِكٍ ... إذا أَذْرَتِ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعَا

إذا جَرَّدَ القومُ القِدَاحَ وأَوقدت لهمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَن تَضَجَّعَا

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَرَاها وَأَنَّنِي أَرَى كلَّ حَبْلٍ بعدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

وَكان جناحي إنْ نهضت ويحوى الجناح الريش أن يتنزعا أقلني

سَقَى اللهُ أَرْضًا حَلَّها قَبْرُ مَالِكٍ ذِهَابَ الغَوَادِي المُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا

فَو اللهِ ما أُسْقِي البلادَ لِحُبِّها ولكنَّني أُسْقِي الحبيبَ المُوَدَّعَا

وما غالَ نَدَمَانِي يَزيدَ وَلَيْتَنِي تَمَلَّيْتُهُ بالأهلِ والمالِ أَجْمَعَا

قَعِيدَكَ أَلاّ تُسْمِعِيني مَلامَةً ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

نَعَيْتَ امْرَءً لو كانَ لَحْمُكَ لآوَاهُ مَجْمُوعًا لَهُ أَو مُمَزَّعَا عنَدهً

لا يَهْنِئِ الوَاشِينَ مَقْتَلُ مَالِكٍ فقدَ آبَ شَانيهِ إياباً فَوَدَّعَا

إنَّ هذه القصيدة أطوال قصائد مالك (٥٧ بيتاً) وهي التي وصفت (أم المراثي) يبدأ برغبته بالبكاء على أخيه ويعدد خصال أخيه الحميدة، ويذكرنا بعدم جزعه من الحزن على أخيه والفضائل التي يذكرها هي فضائل عربية ، الأخلاق والشجاعة وغير ذلك وهي صفات بدوية .

وبعد هذه الصفات يندفع مرة أخرى للبكاء على أخيه ويتذكر مواقفه في الشدائد، ويتذكره في كثير المواقف الميدانية خصوصاً في مجال النجدة والكرم أو وجود امرأة ذليلة مع يتيمها أيام القحط، وذكر صوره قبل

الإسلام فهو لا يعبث حتى عندما يشرب الخمرة ولا يسيء الأدب، وهذه الصورة الخمرية انعدمت بعد الإسلام إلا أن متمم قد رسخت في ذهنه هذه المعاني والصور فهو من الشعراء الذين قل تأثرهم بالإسلام، وكان يستمر في ذكر مآثر أخيه التي كانت السبب في بعض صبره ، ويذكر حياؤه وشجاعته، ويستعين بالصورة الخيالية على النوق وحزنها وما يشاهده على الناقة الرؤوم التي تحن إذا فقدت ولدها، وهكذا ينهي قصيدته بإظهار حزنه وصبره، ويعاتب من مر بجسد أخيه ورآه ملقى ولم يغطيه معلناً أن الموت لا شماتة فيه، وهو على آية حال أظهر حزنه وألمه لفقدان أخيه وتعداد مآثره دون الدخول بتفصيلات عن مقتله ودون الإشارة إلى سبب ذلك .